ركن المعتزلة :

أرادة الله فى مذهب المعتزلة

للدكتور البير نصرى نادر

الفعل الأرادى عند الإنسان يشتمل على إدراك غاية يصل إليها وعلى مشاورة ، حيث أن بواعث كثيرة تبدو أمام الإنسان ، وعلى عزم ؛ أعنى اختيار باعث من ضمن هذه البواعث ؛ وهذا الاختيار يضع حداً للمشاورة ؛ وأخيراً على تنفيذ أو عمل — لكن الله الكلى الكمال لا يعرف المشاورة لأنها دليل على الضعف إذ أنها تشمل التردد . كانت لذلك إرادته تعالى تختلف كل الاختلاف عن إرادتنا .

تعريف المعتزلة لأرادة الله :

إرادة الله فى مذهب المعتزلة من الاعتبارات الذهنية التى يقولون بها مثل العلم والقدرة ، والتى لا يوجد حقيقة لأن ماهية الله بسيطة وكاملة . وبناء على ذلك تكون الأرادة هى ذات الماهية أعنى أنها قديمة لا متناهية وكاملة - لذلك يقول النظام والكعبى أن الله غير موصوف بالأرادة على الحقيقة وإن ورد الشرع بذلك. فالمراد بكونه تعالى مريداً لأفعاله أنه خالقها ومنشئها ، وإن وصف بكونه مريداً لأفعال العباد ؛ فالمراد بذلك أنه أمر بها ؛ وإن وصف بكونه مريداً فى الأزل فالمراد بذلك أنه عالم فقط[1] — وهكذا ترد المعتزلة إرادة الله إلى علمه أعنى إلى ماهيته . وإذا قال النجار « بمعنى كونه تعالى مريداً أنه غير مغلوب ولا مستكره »[2] فإنه يكرر قول النظام على شكل آخر ، لأنه لا يوجد فى الله ولا خارجا عنه تعالى أى مؤثر يرغمه على العمل ، إذ أن علمه تعالى هو أيضاً قدرته وإرادته — ويوضح الجاحظ خصائص الفعل الأرادى بقوله : مهما انتفى السهو عن الفاعل وكان عالما بما يفعله فهو مريد ؛ وإذا مالت نفسه إلى فعل الغير سمى ذلك ميلان أرادة[3] ولكن

(١) الشهرستانى : نهاية الأقدام ص ٢٣٨ — الملل والنحل ج ١ ص ٦٢ — البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٦٦

(٢) الشهرستانى الأقدام ص ٢٣٨

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٩

واللغة العربية مادة إجبارية فى مواد التعليم الثانوى . كما خصص ركن من الإذاعة للغة العربية أيضاً . وحضرات أصحاب المعالى الوزراء فى الباكستان وفى مقدمتهم صاحب المعالى وزير المعارف العمومية فضل الرحمن متقبلون بأنفسهم على تعلم هذه اللغة .

ولعل بعض القراء يذكر أن فخامة حاكم البنجاب السردار عبد الرب نشتر — هو الذى يرأس أكثر الحفلات العربية ويلقى فيها خطبه المرتجلة فى عبارات سليمة واضحة .

وليس هذا كل شىء ، فإن الخطوة المباركة الحقيقية هى وصولنا إلى ذلك القرار الحكيم الذى وافق عليه مؤتمر العالم الإسلامى الدائم وهو اعتبار لغة القرآن لغة عامة للمسلمين جميع ، وكتابة لغات العالم الإسلامى بخط النسخ العربى . كما ألقيت أكثر خطب المؤتمر فى كراتشى باللغة العربية . وإذا كنا نحن الباكستانيين قد بذلنا هذا الجهد المتواضع لتعميم العربية الفصحى وإحياء تراثها المجيد ، فإنى أهيب بالناطقين بالضاد فى الممالك العربية أن يجعلوا واجبهم الأول تعميم اللغة العربية الفصحى وإحياء تراثها المجيد ، وأن لا يهجروها على مكاتباتهم فى دواوين الحكومة ، وعلى أعمدة الصحف . فعلى كل من يجيد العربية أن يخاطب بها غيره فى المكتب والطريق وفى الأندية والأسواق وفى التعامل التجارى والتبادل الثقافى. وسيقول قائل إن الطريق شاق والمطلب عسير ، فأقول لهؤلاء ليس بين العامية الدارجة والعربية الفصحى سوى تصحيح كلمات وإعراب جمل وصدق فى التوجيه قبل كل شىء . وما هو إلا قليل من التدريب يتلوه النصر القريب .

كثيراً ما رأيت طلاب البعثات الوافدة إلى مصر والأزهر يعودون مزودين باللغة العامية ، ومهجورا أوطانهم إلا اللغة العربية السليمة الفصحى !

وقد بدأنا تحصل الغرامة المفروضة من أعضاء المؤتمر الاسلامى على كل من يلجأ إلى غير العربية الفصحى أثناء كلامه .

ويتجه نظرى الآن إلى الكعبة العلمية الاسلامية أعنى (الأزهر الشريف) ليبدأ هذه الخطوة من جانبه بين أساتذة المعاهد وطلابها ، فهل يتحقق أملى ؟

محمد حسن الأعظمى
عميد كلية اللغة العربية فى الباكستان

فى الله لا يوجد مثل هذا الميلان ، لأن علمه لا متناهى وكامل ، فلا يمكننا إذن التكلم عن إرادة الإلهية مثل إرادتنا — إن الله مريد بالمعنى الذى يعطيه الجاحظ لهذا اللفظ أى أنه يحقق علمه — ويزيد الكعبى على كل ذلك بقوله إنما دل على الاختصاص على الأرادة فى الشاهد لأن الفاعل لا يحيط علما بكل الوجوه فى الفعل ولا بالمغيب عنه ولا بالوقت والمقدار ، فاحتاج إلى قصد وعزم وإلى تخصيص وقت دون وقت ، ومقدار دون مقدار . والبارى تعالى عالم بالغيب مطلع على سرائره وأحكامه فكان علمه بها مع القدرة عليها كافيا عن الأرادة والقصد إلى التخصص ، وأنه لما علم أنه يختص كل حادث بوقت وشكل وقدرة فلا يكون إلا ماعلم ، فأى حاجة له إلى القصد والأرادة ؟[1] وننتهى من هنا كله إلى إن أرادة الله هى علمه أعنى ذاته .

أرادة الله وخلق العالم :

تقول المعتزلة إن خلق العالم متعلق بأرادة الله ، وهذه الأرادة هى من صفات الأفعال . لكن بعض معتزلة فرع البصرة مثل بشر ابن المعتمر ومعمر كانوا يقولون إن هذه الصفة حادثة لأن موضوعها — وهو العالم المخلوق — حادث . بينما البعض الآخر كان يقول إن هذه الصفة أزلية .

حيث أنها تتعلق بماهية الله وهذه أزلية — ولكن جميع المعتزلة متفقون على أن هذه الأرادة — أزلية كانت أم حادثة — سابقة على خلق العالم . فعليه يكون العالم إما أزليا وإما حادثا —

لنتعقب أقوال المعتزلة فى هذا الموضوع الدقيق . يقول أبو الهذيل إن خلق الشىء الذى هو تكوينه بعد أن لم يكن هو غيره وهو إرادته تعالى له وقوله : كن — والخلق مع المخلوق فى حاله وليس يجائز أن يخلق الله شيئا لا يريد ولا يقول له : كن . ويضيف أبو الهذيل على ذلك قائلا بأن خلق العرض وخلق الجوهر هو غيرها . ويقول أخيراً إن الخلق الذى هو إرادة وقول لا فى مكان[2] من هذا القول يتضح أن الخلق هو بداية الوجود الذى يمنحه الله لشىء كان غير موجود . ثم أن هذا الخلق يتميز تماماً من الشىء الذى كان فى حالة العدم قبل خلقه — فيكون الخلق متعلقا بأرادة الله التى تتحقق فى وقت ما ويصبح هذا الوقت بداية الوجود — من الضرورى أن نبين أن أبا الهذيل كان يؤكد الفرق الموجود بين أرادة الله لخلق الشىء وبين هذا الشىء المخلوق الذى هو موضوع الأرادة . إن هذه الإرادة فى زعمه (وهى منبع الخليقة) لا توجد فى محل . وسبب ذلك أن الله لا يشغل محلا لأنه غير مادى ، فعليه لا يمكن أن تكون أرادته فى مكان لأن المادة فقط تشغل حيزاً . ولكن موضوع هذه الأرادة مادى وهو الخليقة . فهى تشغل مكانا معينا . ومن هنا قامت المشكلة العويصة المتعلقة بطبيعة العالم المخلوق وطبيعة الله : إنهما طبيعتان مختلفتان كل الاختلاف ومتميزتان تمام التميز : الواحدة منهما وهى الطبيعة الآلهية تمنح الوجود فقط للآخرى التى هى الطبيعة المادية — وماهية العالم المخلوق خلاف ماهية الله .

ويقول النظام من جانبه أن الخلق متعلق بأرادة الله ، والخلق هو منح الوجود اعنى تكوين[1] — وهكذا يميز النظام إرادة الله عن موضوع هذه الأرادة وهو العالم المخلوق . ولكن النظام لا يقول أن هذه الأرادة متميزة عن ماهية الله . وبناء على ذلك تكون هذه الأرادة قائمة منذ الأزل . فمسألة خلق العالم مرتبطة ارتباطا وثيقا بمسألة أرادة الله .

المعتزلة والمذهب الحلولى :

إن المعتزلة مجمعة على تميز أرادة الله من موضوع هذه الأرادة. وهكذا يقررون موقفهم ضد المذهب الحلولى . والأشعرى يؤكد موقف المعتزلة هذا كلما ذكر أحد رؤسائهم مثل معمر وبشر ابن المعتمر والمردار والجبائى[2] . فنجد مثلا فى مقالاته هذا القول: يزعم معمر أن خلق الشىء غيره . وكان بشر بن المعتمر يزعم أن خلق الشىء غيره ، وأن الخلق قبل المخلوق وهو الأرادة من الله للشىء — وكذلك كان يزعم المردار . وهذه كلها أقوال واضحة تنفى المعتزلة بمقتضاها كل مذهب حلولى أو كل ما يؤدى إلى الاعتقاد بوحدة الوجود .

أرادة الله والشرع :

كما أن المعتزلة تقول أن الخلق متعلق بأرادة الله كذلك يقولون أن الشرع (القانون الخلقى) متعلق بهذه الأرادة أيضاً . إذا هم قالوا

(١) المصدر نفسه ص ٢٤٠
(٢) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ص ٣٦٣

(١) المصدر نفسه ص ٣٦٥
(٢) المصدر نفسه ص ٣٦٤ — ٣٦٦

إن الأرادة توافق الأمر [١] فأنهم يميزون أيضاً هذه الأرادة عن الشريعة التي تأمر بها . ويقول أبو الهذيل بهذا الصدد إن أرادة الله للإيمان هي غيره وغير الأمر به [٢] فعليه إذا قلنا الله يريد شيئا وجب علينا أن نميز بين أرادته تعالى وموضوع هذه الأرادة . ولأرادة الله موضوع حتما ، لذلك قالت المعتزلة إن الله يريد الشريعة. لكن هل الشريعة تكتسب قيمتها الخلقية من أرادة الله أم هذه القيمة موجودة ضمنا في الشريعة نفسها ؟ نكتفي هنا بقولنا إن المعتزلة كانت تزعم أن الخير خير في ذاته وأن الشر شر في ذاته وليس بموجب أرادة الله . والله يريد الخير ويأمر به لأنه خير في ذاته ، وينهى عن الشر لأنه شر في ذاته . فالله لا يختار جزافا أموراً ويقول عنها أنها خير أو شر ، لا بل هذه الأرادة الكلية الكمال تميل طبعا نحو الخير وتنفر طبعا من الشر .

وهكذا يكون خلق العالم متعلقا بأرادة الله ، والشريعة أيضاً متعلقة بهذه الأرادة . ولكن هذه الأرادة وأن مالت طبعا نحو الخير لا تختار جزافا ما هو خير وتأمر به ، بل أنها تأمر بما هو خير في ذاته .

أرادة الله وحرية الانسان :

يريد الله الخير لذاته ويأمر به ولا يمكنه أن ينتج الشر ، بل إن الله ترك الإنسان حراً أن يخضع أو لا يخضع لأرادته تعالى وهي أرادة الخير . فالشر إذن يأتي من كائن حر الأرادة يمكنه أن يختار الخير أو الشر بينما الله تعالى الكلي الكمال لا يمكنه أن يريد أو يختار ما هو نقص وعدم كمال مطلق لأن أرادته هي علمه وعلمه هو ذاته وذاته كاملة . هكذا تميز المعتزلة أرادة الله عن أرادة الإنسان .

فرد جميع صفات الله إلى ذاته تعالى جعل المعتزلة تنظر إلى العلم والقدرة والأرادة نظرة تختلف كل الاختلاف عن هذه الصفات في الإنسان . وهذا أمر طبيعي ومنطقي يتفق تماماً وتنزيههم لله تعالى إذ يقولون أنه كمال لا متناهي وكل صفة فيه مجرد زعم ومجرد اعتبار ذهني ليس إلا .

البير نصري نادر
دكتور في الآداب والفلسفة

(١) اليافي : مرهم العلل للمعتزلة ص ١٠٠
(٢) الأشعري : مقالات الأسلاميين ص ٥١٠

أيها الملاح استرح

آن لك أيها الملاح التائه أن تهتدي ...
فها هو الشاطئ الذي كنت تريده وتبغيه
رحلت أيها الصديق إلى الأبدية !
ولا زال لحنك يرن في أذن الوجود والأجيال .
كنت تريد أن تستشف الحجب لتري اللانهاية .
فها أنت فيها . لحدثنا وستعلمك القلوب النقية .
لأن آذان البشرية أصمتها ضراخ ذبائح للفضيلة .
أيها الملاح لقد وصلت واسترحت. وتركت لنا الحيرة والعذاب !
بالأمس وعلى صفحات (الرسالة) كتبت لك .
« أيها الملاح التائه يحبك قلبي .
لأنك مثله ولأنك ملؤه .
واليوم أكتب لك على صفحات رسالتك .
أيها الملاح إسترح .
فقد طالت حيرتك وكثر تعبك .
وهنيئاً لك ... فاطو شراعك .
فقد آن لك أن تصل وعليك السلام . عزت حماد منصور

مؤلف
عبقرية علي طه

محمد حسن الزيات
يقدم
دفاع عن البلاغة
كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل عرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة .. الخ .
من فصوله المبتكرة القول ، والأسلوب ، والمذهب الكلامي للعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ
يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشاً عدا أجرة البريد